مفهوم الرتبة في الجملة العربية بين التراث والمعاصرة

لكبيد محمدن حبيبي
طالب دكتوراه: مكونة اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

مقدمة:

تُعدّ الرتبة في الجملة العربية من المسائل النحوية التي شغلت أذهان النحاة القدماء والباحثين المحدثين على حد سواء؛ لما لها من بالغ الأثر على المعنى والدلالة والتركيب. وتعتبر الرتبة النحوية من أبرز القضايا التي اهتم بها النحاة العرب القدماء، حيث عُنيت دراساتهم بترتيب العناصر داخل الجملة، وتأثير هذا الترتيب على المعاني والدلالات.

وقد انطلقت أمهات كتب النحو العربي من ملحوظة مفادها: أن اللغة العربية تتميّز بقدر كبير من المرونة في تقديم عناصر الجملة وتأخيرها، مع المحافظة على سلامة المعنى الأصلي للجملة، وإمكانية إضافة معاني جديدة للمعني الأصلي بحسب قصد المتكلم من زحلقة الرتبة عن محلها الأصلي؛ مما جعل الرتبة مجالاً خصبًا للتأويل النحوي والدلالي.

وقد أظهر النحو العربي القديم –من سيبويه إلى ابن هشام –وعيًا دقيقًا بعلاقة الرتبة بالمعنى، فتكلموا عن التقديم والتأخير، وربطوا ذلك بالبلاغة، أو العامل النحوي، أو الغرض الكلامي.. في المقابل، أعادت اللسانيات الحديثة النظر في مفهوم الرتبة، فمع ظهور المناهج الحديثة واللسانيات المعاصرة، خضعت الرتبة لتحليلات جديدة انطلقت من أسس نظرية وتطبيقية مغايرة لما كان عليهالحال في الدرس اللغوي العربي القديم، فمن خلال إسقاط تطبيقات الدراسات اللغوية البنيوية، والتوليدية، والوظيفية، على الدرس اللغوي العربي انفتحت آفاقٌ جديدة لفهم بنية الجملة العربية في إطار أكثر اتساعًا وشمولية، وأقرب إلى السعي للتدقيق المعرفي في ظاهرة الرتبة في اللغة العربية؛ مما ولّد تباينا في الرؤى بين التراث اللغوي القديم، والدرس اللساني الحديث فيما يتعلق بمفهوم الرتبة في الجملة العربية.

وفي سياق هذا التداخل في مفهوم الرتبة في الجملة العربية بين المنظورين التراثي والمعاصر تتنزل هذه الدراسة؛ حيث تهدف إلى مقاربة مفهوم الرتبة في الجملة العربية بين التصور التراثي والرؤية المعاصرة، وذلك من خلال تحليل الأصول النحوية التي عالجت مفهوم الرتبة، ومراجعة نظريات الدرس اللغوي الحديث، ومقارنة الرؤيتين في ضوء المناهج اللغوية الحديثة.

وتتجلّى أهمية هذا البحث في تقديمه قراءة نقدية لمفهوم الرتبة، بوصفه معبرًا عن الخصائص النحوية والبلاغية للغة العربية، كما يسعى إلى استجلاء مفهوم الرتبة في الدرس العربي القديم من خلال الوقوف على الإسهامات التراثية التي أسست لهذا المفهوم، ومقارنتها بمفهوم الرتبة في الدرس اللغوي الحديث؛ طبقا للمناهج اللسانية المعاصرة التي عالجت الرتبة من منظور جديد؛ يجمع بين الصرامة النحوية والمرونة الدلالية، وتتحدد إشكالية هذا البحث، في محاولة الإجابة على تساؤلات من قبيل: ما المقصود في التراث النحوي العربي بمفهوم الرتبة في الجملة العربية؟ وما هي الأسس والضوابط التي وضعها اللغويون العرب القدماء للرتبة في الجملة العربية؟ وماهي الرؤية اللسانية الحديثة لمفهوم الرتبة؟ وما هي أوجه التقاطع والاختلاف بين النموذجين التراثي والمعاصر في معالجة ترتيب المكونات اللغوية داخل الجملة العربية؟ وإلى أي حد وُفّق الدارسون العرب المحدثون في الجمع –في معالجة الرتبة –بين الدقة الوصفية في التراث اللغوي القديم، والعمق التفسيري في اللسانيات الحديثة؟

1- ماهية الرتبة

1-1-مفهوم الرتبة النحوية لغة واصطلاحا

الرتبة مشتقة من المادة اللغوية (رتب) وقد جاءت في المعاجم بعدّة معان يؤول أغلبها إلى الدلالة على: العلو، والارتفاع، والمنزلة، والتفاوت بين الشيئين، والثبات، والدوام، فيقال رتَب الشيء يرتُبه رتوبا وترتّب أي: أثبته مكانه فلم يتحرك[1]

والرتبة في عرف اللغويين لا تكاد تجد لها تعريفا جامعا مانعا؛ فلم يكن مصطلح الرتبة معروفا عند اللغويين القدماء بهذا المفهوم، لكن تمظهراته كانت جلية في دراساتهم، حيث عبّروا عنه بمصطلحات أخرى تدل عليه؛ فعبّروا عنه بالموضعحينا، وحينا آخر بالمحل، وبالتقديم والتأخير في بعض الأحايين الأخرى.

فالساعي إذن إلى مقاربة هذا المفهوم؛ لا يمكنه تلمس ذلك إلا في دراسات اللغويين المحدثين؛ فمفهوم (الرتبة) بهذا المصطلح لم يظهر إلا حديثا، وقد اختلف المحدثون وتباينوا في تعريفاتهم لمصطلح الرتبة، فمنهم من اعتبر الرتبة الموقع المحدَّد سلفا للكلمة داخل الجملة؛ فيقال رتبة الفاعل أن يتقدم في الجملة على المفعول، ورتبة المفعول أن يتأخر في الجملة عن الفاعل، وكذلك الحال بالنسبة للمبتدأ والخبر.[2] ومنهم من اعتبرها وصفا لمواقع الكلمات في التركيب اللغوي؛ بمعنى أنهاتعبّر عن الموقع الأصلي الذي يجب أن تتخذه الوظيفة النحوية بالنسبة للوظائف الأخرى المرتبطة بها عبر

[1] . لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، 1968م، (مادة رتب).

[2]. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد نجيب اللبدي، ط1، مؤسسة الرسالة - بيروت، 1985م، ص: 91

العلاقات التركيبية المختلفة[1]، وبعضهم يطلقها على موضع الكلمة وفقا لوظيفتها النحوية، ودورها التركيبي في بناء الجملة[2]، وبعضهم يعتبرها قرينة لفظية تشكّل علاقة بين جزئين مرتبين، من أجزاء السياق، يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه، وهيمحدِّدةلمعنىالأبوابالمرتَّبةبحسبها[3].

وعند التدقيق في هذه التعريفات يتبن لنا أن الجامع بينها هو وسْمُ الرتبة باستحقاق اللفظ موقعه في التركيب على الأصل الذي يقتضيه الكلام؛ كتصدر المبتدأ وتأخر الخبر، ومجيء الفاعل بعد الفعل، وتقديم العامل عموما على معموله، وغير ذلك من الرتب سواء كانت لازمة أو غير لازمة، والرتبة مع ذلك وسيلة أسلوبية فنية يعبّر بها المتكلم عن معنى إضافي دون اللجوء إلى وحدات دلالية جديدة، فهي بذلك تسهم في بقاء اللغة العربية لغةَ إيجاز وتكثيف وإبداع.

1-2-أنواع الرتبة

فرق اللغويون في دراساتهم بين رتبة البُنْية، والرتبة النحوية؛ فالأولى يقصد بها ترتيب الحروف داخل الكلمة حتى يتمَّ بناؤها، وهذا النوع من الرتبة لم توله الدراسات النحوية كبير عناية، بل اهتم بدراستهعلْم الأصوات، وكذلك تناوله بالدراسة علماء البلاغة في أبواب:(فصاحة الكلمة)؛ حيث ركّزوا في فصاحة الكلمة على هندسة رصْف الحروف داخل بنية الكلمة، فكلما قرُب مخرج حروف الكلمة وتناسقت أوصافها، أدناها ذلك عندهم من الفصاحة في كلام العرب[4]

ولم يدرس النحاة رتبة البنية إلا في باب (الإدغام)؛ حيث تناولوا في هذا الباب مخرج الحرف وصفته واشترطوا لتحقق الإدغام شروطا؛ تحدث عن بعضها سيبويه في نهاية الجزء الرابع من كتابه الكتاب.

النوع الثاني من الرتبة، هو الرتبة النحوية؛ وقد نظر إليها النحاة باعتبارها الموقع الذي تأخذه الكلمة طبقا لما سبقها أو لما لحِق بها من الكلمات داخل الجملة، وهذا التقديم والتأخير في ترتيب مواقع الكلمة داخل الجملة هو الذي على أساسه انبنى ترتيب الأبواب النحوية؛ وهذا الترتيب قسّمه النحاة إلى نوعين[5]:

1.2.1. الرتبة المحررة

وهي الرتبة غير المحفوظة، ويقصد بها تلك الرتبة التي لا تحتفظبموقعهاالمحدَّد لها في السياق، وإنما تتنقَّل بين أجزاء الكلام داخل الجملة بشكل شبه مطلق؛ ويتجلى ذلك بوضوح في (المفعول به)، فرتبته

---

[1]. دور البنية الصرفية، في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم النجار، ط1، دار البشير، عمان، 1994م، ص: 197

[2]. معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، محمد إبراهيم عبادة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011م، ص: 137

[3] . تمام حسان، الخلاصة النحوية، ط1،عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص:196

[4].الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، ط1، دار غريب، القاهرة 2006م، ص:218- 220

[5] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، هيئة المعرفة العامة للكتاب، 1979م، ص: 208

في السياق التأخر عن الفعل والفاعل، وهو غير ملتزم بهذه الرتبة فطورا تراه يتقدم على الفاعل، وطورا آخر تراه يتقدّم على الفعل والفاعل معا (إيّاك نعبد..)[1].

2.2.1. الرتبة المقيدة:

وهي الرتبة المحفوظة؛ وتعني نمط الرتبة الذي ليس للمتكلّم فيه حرية في تخيّر المكان الذي يضع فيه الكلمة داخل الجملة؛ فكل اختلال يقع في جملة من هذا السياق يختلّ به التركيب العام للجملة، ويفسد به المعنى؛ وبالتالي تكون الجملة غير مؤدية لبعدها الإفهامي ورسالتها الإبلاغية.

2- الرتبة في التراث اللغوي القديم

2-1-الرتبة في الدرس النحوي القديم

تنبّه النحاة منذ بداية وضعهم لأسس النحو إلى أن أصول التركيب في النحو العربي تطرأ عليها ظواهر مختلفة تخرج بالكلام عن أصله الذي انبنت عليه القواعد المستنبطة من كلام العرب، لذلك ركّز النحاة القدماء في كل باب من أبواب النحو على التنبيه على ما يطرأ على هذا البابأو ذلك من مخالفة الأصل الذي عليه سليقة العرب في صناعتهم للكلام، وهذا الطروُّ الذي ترصَّد النحاة حدوثه في كلام العرب قد يكون من خلال الحذف أو التقديم أو التأخير.. إلى غير ذلك من ظواهر العدول عن الأصل، ورغم تنبّه النحاة القدامى إلى دور الرتبة النحوية ومحوريتها في توجيه بناء الجملة بشكل عام؛ فإنهم لم يعالجوها في مبحث مستقل، بل توزّع البحث فيها عندهم على أبواب النحو بشكل عام، فأخذ حديثهم عنها ـ في ثنايا الكلام على المسائل النحوية ـ أنماطا مختلفة فطورا يكون من خلال الكلام عن التقديم والتأخير، وطورا يكون من خلال الكلام عن "الموضع" كما عند سيبويه في أحاديثه العامة عن أصول التركيب النحوي في كتابه الكتاب[2]، وذكر ابن السراج في كتابه الأصول مصطلح: "المرتبة"[3]، وأفرد ابن جني في كتابه الخصائص للرتبة بابا أسماه: " باب في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض.."إلى غير ذلك من النصوص التي تلمّح ولا تصرّح بعلاقة الدارسين الأُول بماهية الرتبة النحوية وتصورهم لمفهومها، واستنباطهم لمآلاتها في كلام العرب.

وهذه التلميحات ـ وإن لم يكن فيها تصريح بمفهوم الرتبة كما هو الحال عليه في الدراسات الحديثة ـ فيها وعي بماهية الرتبة وإحساس بمدى أهمية ضبطها وفق أسس تمكّن من بناء الجملة بناء معياريا؛ ويمكن تلخيص أبرز آراء النحويين القدماء حول الرتبة من خلال نموذجي البصرة والكوفة:

---

[1] . سورة الفاتحة. الآية 5

[2]. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (سيبويه)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة بولاق، القاهرة، 1316هـ، ص: 41/1

[3] . الأصول في النحو، ابن السراج، تحقيق: عبد الحسن الفتلي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 1/ 98

1.1.2. الرتبة عند المدرسة البصرية

الرتبة في نظر البصريين ليست مجرد ترتيب عشوائي للكلمات، بل هي نظام دقيق يرتكز على توضيح العلاقة الإعرابية بين العامل والمعمول، ويقوم على قواعد ثابتة تُراعي كلاً من الجانب الإعرابي والبلاغي؛ مما يعكس عمق التحليل النحوي عندهم وتأكيدهم على أهمية الترتيب في تحقيق وضوح المعاني في اللغة العربية، وقد أكد البصريون على أهمية الالتزام بالترتيب الأصلي للجملة بهدف الحفاظ على وضوح المعنى وسلامة القاعدة النحوية، مع السماح بتقديم أو تأخير بعض العناصر في حالات استثنائية مدعومة بقرائن لغوية وبلاغية؛وهذه الرؤية تُظهر مدى عمق أثر المدرسة البصرية، في الحفاظ على فصاحة الكلام، ودقة القواعد النحوية[1].

ورؤية البصريين للرتبة في الجملة العربية تؤكد على ثبات الرتبة الأصلية للجملة، مع السماح بتقديم أو تأخير بعض العناصر في حالات محددة، وذلك حرصا على وضوح الإعراب وتحقيق الأهداف البلاغية المختلفة، كما أن المذهب البصري يُظهر قيمة كبيرة في الحفاظ على النظام النحوي التقليدي عبر ترتيب دقيق للعناصر داخل الجملة، وهو ما يُعزز من فهم النصوص القرآنية والأدبية فهما دقيقا، بعيدا التأويل والتقدير والتخمين[2].

2.1.2. الرتبة عند المدرسة الكوفية

على عكس البصريين، كان الكوفيون أكثر مرونة في التعامل مع ترتيب الكلمات، حيث رأوا أن الرتبة في اللغة العربية ليست صارمة، ويمكن تغييرها بحرية وفقًا للسياق والمعنى، واستشهدوا على ذلك بكثرة الأساليب المختلفة في القرآن الكريم والشعر العربي، والتي تُظهر تنوع ترتيب الجملة دون أن يؤثر ذلك على التراكيب أو المعاني، وأجاز الكوفيون تقديم بعض عناصر الجملة حتى في غير الحالات الضرورية، وذلك لدواعٍ بلاغية، أو حتى تواصلية معتادة[3]

واعتمد الكوفيون أكثر على المعنى والسياق؛ بدلًا من الترتيب النحوي الصارم؛ وقالوا إن ترتيب الجملة يخضع أحيانًا لإيقاع الكلام، كما هو الحال في الشعر، حيث يقتضي الوزن الشعري أحيانًا تغيير ترتيب الكلمات.

وبالرغم من هذه المرونة في التعامل مع الرتبة، فإن الكوفيين شددوا على أن كل تغيير في الترتيب يؤدي إلى فقدان الوضوح في الإعراب فإنه باطل ومردودة فيه الرتبة إلى أصلها؛ إذ يجب أن تبقى العلامات الإعرابية أو ما ينوب عنها مرئي ودال على الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل سياق الجملة.

---

[1] . من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط6، المكتبة الأنجلو المصرية، 1978م، ص:137

[2] . تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، م، س، ص: 104-106

[3] . التطور النحوي للغة العربية، رمضان عبد التواب، ط3، مكتبة الخانجي1985م، ص: 152- 155

من خلال تطبيقات الرتبة عند الكوفيين يتضحأنَّ اللغة العربية تتمتع بمرونة غنية تُتيح للنحاة والأدباء تحقيق تأثيرات بلاغية دقيقة دون التضحية بوظائف الكلمات الإعرابية، وقد اعتمد الكوفيون في حالات خروج الرتبة في الجملة عن أصولها على القرائن السياقية والدلالية التي تضمن وضوح المعاني، وسلامة التراكيب.

ورغم اختلاف آراء الكوفيين عن البصريين الذين يميلون إلى الالتزام الصارم بالترتيب النحوي، فإن كلا المذهبين يشتركان في تقدير أهمية الإيضاح اللغوي ودور ترتيب الجملة في تحقيق التواصل الفعال والدقيق في اللغة العربية.

2-2-الرتبة في الدرس البلاغي القديم

تُعدّ الرُّتبة، أو ترتيب عناصر الجملة، من الظواهر البلاغية التي شغلت اهتمام البلاغيين العرب منذ وقت مبكر، ولم تكن الرُّتبة عندهم مجرد مظهر نحوي، بل كانت أداة تعبيرية توظّف لتحقيق أغراض فنية ودلالية، وقد تناولها البلاغيون ضمن أبواب علم المعاني، لا سيما في الحديث عن الإيجاز والإطناب، وتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم.

وقد أدرك البلاغيون أن تغيير الرُّتبة يُحدث أثرا في المعنى والسياق، وأن الأصل في ترتيب الجملة يكون حسب مقتضى الظاهر، والبلاغة تكمن في العدول عن هذا الظاهر لسبب بياني، أو قصد بلاغي محدد.

واهتم البلاغيون بمفهوم (المقام)، ويقصدون به السياق الذي يُحدد الترتيب الأنسب، سواء أكان المقام يقتضي التقديم لتأكيد عنصر معين أو التأخير لغاية إيقاعية أو نفسية معينة.

ومما ارتبطت به الرُّتبة عند البلاغيين قضية (الإعجاز القرآني)، حيث رأى بعضهم أن جمالية ترتيب الكلمات في القرآن دليل على إعجازه، لما في ذلك من تناسق معجمي وصوتي ودلالي بديع[1].

ومن المبادئ التي بنا عليها البلاغيون في قضية الرتبة فكرة أن (التقديم يفيد الحصر أو الاختصاص)، وأن (التأخير قد يُفيد التشويق أو التأكيد)، ما يدل على عمق وعيهم بوظيفة الرُّتبة البلاغية، كما لاحظوا أثر الرُّتبة في انسجام النص وإيقاعه الداخلي، وميزوا بين الرُّتبة الأصلية والرُّتبة البيانية[2].

ويلاحظ من خلال دراسات البلاغيين القدماء أنهم كانوا يملكون نظرة تداولية ضمنية؛ إذ لم يحصروا المعنى في البنية، بل ربطوه بالمقام والمخاطَب، وهو ما يجعل طرحهم قريبًا من المقاربات اللسانيات الحديثة.

---

[1] . الكشاف عن حقائق التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، 2009م، ص:250/1

[2] . مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م، ص: 329

وقد احتلت الرُّتبة البلاغية موقعًا بارزًا ضمن مباحث علم المعاني؛ حيث صُنِّفت في هذا السياق بوصفها وسيلة لإبراز المعاني الدقيقة وإبهاج الأساليب الخطابية، وفرّق البلاغيون، وفي مقدمتهم السكاكي وابن الأثير، بين الرُّتبة الأصلية للجملة – أي الترتيب المألوف الذي يراعي الوظائف النحوية – والرُّتبة البيانية التي تتغيّر فيها العناصر تحقيقًا لغرض بلاغي معين.

إن التقديم والتأخير هما المظهر الأبرز للعدول عن الرُّتبة الأصلية عند البلاغيين، وبهما تُؤدَّى معانٍ إضافية كالحصر والاختصاص، أو التنويع الإيقاعي والتشويق، فمثلاً، تقديم المفعول به على الفاعل قد يُفيد القصر كما في قول الله تعالى: (إياك نعبد)، حيث جاء التقديم لإفادة الحصر وتوكيده.

ومن البلاغيين من اعتبر الرُّتبة مفتاحًا لفهم دلالة النص، مؤكدين أن موقع الكلمة ليس عشوائيًا، بل يعكس موقعها في الذهن، وفي المقام الذي يقتضيه الخطاب[1].

وقد توسع البلاغيون في تحديد دواعي هذا العدول: فعدوا منها التناسب الصوتي، والاهتمام بالمقدَّم، والتشويق لما بعده، واستدعاء المعاني النفسية عند المتلقي.. كل ذلك يجعل الرُّتبة أداةً بلاغية واعية وليست مجرد مسألة ترتيبية عابرة.

ومن أشهر من تحدث في هذا السياق: عبد القاهر الجرجاني، في كتابه (دلائل الإعجاز)، حيث ربط بين الترتيب البياني وانتظام المعاني، مؤكداً أن الجملة لا تكون بليغة إلا إذا وُضِعت أجزاؤها في الموضع الذي يلائم المعنى المقصود.

وتعتبر نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني من أهم أعمال البلاغيين القدماء التي تجلّى فيها عمق تحليل الرُّتبة البلاغية؛ حيث رفض فيها عبد القاهر الجرجاني التصور القائم على أن البلاغة تكمن في المفردات وحدها، واعتبر أن الجمال في اللغة يكمن في ترتيب الكلمات على وفق المعاني، فالتركيب عنده لا يُبنى إلا إذا سبقت المعاني في الذهن، ثم نُظِمت في الكلمات بما يناسبها، وهذا ما يعبّر عنه بقوله: "واعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم (النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها.."[2].

ويرى الجرجاني أن الرُّتبة تتبّع الترتيب الذهني للمعاني، وهذا يعني أن تقديم لفظ على آخر لا يصح أن يكون لمجرد الرغبة، بل لأنه الأنسب في مقامه، فكل عنصر له مكانه في البنية الكلية للنص، وأي تغيير في الرُّتبة يُنتج تغييرًا في المعنى والدلالة.

---

[1] . دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، م، س، ص: 118

[2] . دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، م، س، ص: 47

وقد فسّر الجرجاني الآيات القرآنية وفقا لهذا المنهج، مبينًا كيف أن كل تغيير في الترتيب يخدم مقصدًا بلاغيًا دقيقًا؛ فمثلاً، تقديم الخبر في قوله تعالي: (في قلوبهم مرضٌ)[1]، بدلاً من: (مرضٌ في قلوبهم)، يُفيد تركيز الانتباه على الموقع النفسي للمرض، وهو القلب، وفي ذلك تعميق للدلالة على توغل هذا المرض في قلوب من اتصفوا به.

ولعلّ القيمة التحليلية التي أضافها الجرجاني للرتبة هي أنه نظر إليها بوصفها نتاجًا لتفاعُل ثلاثة عناصر هي: المعنى، والسياق، والتركيب، وهو بذلك يُقارب -وإنْ ضمن حدود تراثية -مفاهيم تداولية ولسانية حديثة اشتغلت على الرتبة من هذه النظرة التحليلية.

3- الرتبة في الدرس اللغوي الحديث

3-1-دور تفاعل الدرس العربي مع النظريات اللسانية الغربية

استفادت الدراسات العربية الحديثة من المناهج اللسانية الغربية، وبنت على أساس منها معظم منتوجها اللساني المعاصر، ومن أبرز المناهج اللغوية الغربية التي اهتمت بمقاربة مفهوم الرتبة في الجملة[2]:

أ- النحو البنيوي :(StructuralGrammar) اهتم هذا المنهج بترتيب الكلمات ضمنالجملة في ضوء العلاقات البنائية بين عناصرها، ويركز على دراسة اللغة بوصفها نظامًا من العلاقات بين العناصر، ودرس الباحثون في هذا المنهج الرتبة بوصفها نمطًا ثابتًا يتحكم في بناء الجملة، كما هو الحال في دراسات هاريس ولويس بلومفيلد التي تأثرت بها بعض الدراسات العربية الحديثة؛ حيث ركز اللسانيون العرب في هذا الاتجاه على وصف الرتبة باعتبارها عنصرًا ثابتًا في النظام النحوي للغة العربية، وساهم هذا المنهج أيضا في دراسة الأنماط الشائعة لترتيب الكلمات في الجمل العربية.

ب- النحو الوظيفي: (FunctionalGrammar) ركزت الدراسات الوظيفية الحديثة على الرتبة بوصفها انعكاسًا لوظائف الجملة المختلفة، ودرست كيفية استخدام الرتبة لتحقيق أغراض تواصلية متنوعة، وساعد هذا المنهج الدرس اللغوي العربي الحديث في غربلة التراث اللغوي المتعلق بنظرية العامل في النحو العربي، وما يتصل بها من متعلقات نظام الرتبة في الجملة العربية.

ج- النحو التوليدي: (GenerativeGrammar) ينطلق هذا المنهج من كون الرتبة ليست مجرد ترتيب ظاهري للكلمات فحسب، بل تعكس بنية عميقة في ذهن المتحدث، وهذا المنهج يُعتبَر من أكثر المناهج الغربية تأثيرا على الدرس العربي الحديث؛ حيث ساهم في معالجة الكثير من الظواهر اللغوية في الدرس العربي القديم، وحاول تفسيرها من منظور علمي.

---

[1] . سورة البقرة، الآية: 10

[2]. التراكيب العربية: وظائفها ووحداتها، عبد القادر الفهري، ط1، دار توبقال للنشر في الدار البيضاء، 1986م، ص: 50-55

3-2-جهود الدارسين العرب المحدثين في الرتبة

اهتمّ اللغويون العرب المحدثون بمفهوم الرُّتبة في الجملة العربية باعتباره عنصرًا أساسًا في تحليل البنية النحوية والدلالية في الجملة العربية، وقد تأثرت هذه الدراسات باللسانيات الحديثة، خاصة النحو التوليدي والتحويلي، مما دفع الباحثين إلى إعادة النظر في حرية الرتبة في العربية وبيان ما يخضع منها للقاعدة وما يُفسَّر بوظائف دلالية أو تداولية محددة.

وقد ساهمت هذه الجهود في تجديد الدرس النحوي العربي، وتوسيع فهمنا للربط بين التراكيب والدلالات في الجملة العربية.

وتعتبر دراسات تمام حسان، وأحمد المتوكل، وعبد القادر الفاسي الفهري، في الرتبة، من أبرز ما دُوِّن في الدراسات اللغوية العربية الحديثة؛ عن ماهية الرتبة في الجملة العربية؛ حيث شكلت دراسات هؤلاء الباحثين فيما بينها رؤى متكاملة للنظرة العربية الحديثة عن مفهوم الرتبة في اللغة العربية؛ وفيما يلي نستعرض أهم الآراء الواردة عن الرتبة في دراسات هؤلاء الباحثين الثلاثة:

1.2.3. جهود تمام حسان في دراسة الرتبة[1]

يُعتبر تمام حسان أحد أبرز علماء اللغة العرب المحدثين الذين سعوا إلى إعادة قراءة الظواهر النحوية العربية بمنهجية حديثة تعتمد على استيعاب التراث اللغوي وتوظيف النظريات اللغوية الغربية المعاصرة، ونسلط الضوء على بعض إسهاماته النظرية والتطبيقية في دراسة الرتبة، مع التركيز على منهجه التحليلي ودوره في إبراز مرونة الرتبة في اللغة العربية.

تمام حسانقدّم في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، تصوراً شاملاً للغة بوصفها نظاماً متكاملاً من المستويات: الصوتية، الصرفية، النحوية، والدلالية، واعتبر أن اللغة هي نظام يستخدمه المتكلم والمستمع للتواصل، وأن دراسة الظواهر اللغوية ينبغي أن تراعي البنية النحوية والدلالية معاً، وأكد أن الرتبة ليست مجرد ترتيب جامد للكلمات، بل هي وسيلة تؤثر على الدلالة والسياق بشكل مباشر.

ويرى تمام حسان أن اللغة العربية تمتاز بمرونة الرتبة، على الرغم من وجود نمط أصلي للرتبة يلزمها بالثبات (الرتبة الثابتة).

وعرّف تمام حسان الرتبة بأنها النظام الذي يحدد ترتيب الكلمات داخل الجملة بما يضمن وضوح المعنى وسلامة التعبير، وأشار إلى وجود نوعين من الرتبة:

أ- الرتبة النحوية: الترتيب القاعدي الذي تمليه القواعد النحوية في اللغة العربية، ونمطه:

(فعل ـ فاعل ـ مفعول به).

---

[1] اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م، ص: 25-40

ب- الرتبة الدلالية: وهي الترتيب الذي يعكس الغرض الدلالي أو البلاغي كما هو الحال في تقديم ما حقه التأخير، أو تأخير ما حقه التقديم، وذلك لتحقيق أهداف تواصلية أوبلاغية محددة.

وعموما تناولتمام حسان الرتبة باعتبارها ظاهرة ديناميكية تخضع لمقتضيات السياق والمعنى، وقدم إسهامات نظرية وتطبيقية ثرية ساعدت في فهم مرونة اللغة العربية وقدرتها على التكيف مع مختلف المقاصد التواصلية، ومثلت أعماله جسراً بين التراث النحوي العربي والدراسات اللسانية الحديثة، مما أضاف عمقاً جديداً لدراسة الرتبة في الجملة العربية.

2.2.3. جهود أحمد المتوكل في دراسة الرتبة[1]

يُعتبر أحمد المتوكل من أبرز علماء اللغة العرب المحدثين، ومن بين أهم الأسماء العربية التي برزت في إطار اللسانيات الوظيفية، وقد شكّل موضوع الرتبة في الجملة العربية محورًا أساسيًا في مشروعه العلمي، حيث سعى إلى تجاوز النظرة الشكلية التي ميزت النحو العربي التقليدي، متبنيًا منظورًا وظيفيًا تداوليًا يعطي للرتبة أبعادًا دلالية وتواصلية محددة.

وتبنى أحمد المتوكل نظرية النحو الوظيفي-وفق أسسها التي وضعها سيمون ديك - التي تركز على اللغة بوصفها أداة للتواصل، حيث يلعب فيها ترتيب العناصر في الجملة دوراً محورياً في تحقيق المعنى والسياق، واستفاد المتوكل من منهجالنحو الوظيفي في دراسة الرتبة في اللغة العربية، وساهم في تطوير تطبيقات هذا المنهج بما يتلاءم مع خصوصيات اللغة العربية.

ورغم تبنيه المنهج الوظيفي الحديث، لم يرفض المتوكل تمثّل التراث العربي في أبحاثه، بل كان كثيرًا ما يوظِّف المفاهيم النحوية التقليدية داخل قراءته الحديثة للدرس اللغوي، مثل تقديم ما حقه التأخير في ضوء مفاهيم التركيز والموضوع، مما أعطى أعماله طابعًا توفيقيًا بين الأصالة والمعاصرة، في هذا المجال.

في المجمل، يمكن تلخيص جهود أحمد المتوكل المتعلقة بالرتبة، في كونه ربط الرتبة بوظائفها التواصلية، مع إبراز دور السياق والبؤرة والموضوع، كما تناول الرتبة من منظور تداولي، مما أضاف بُعداً جديداً لدراسة الرتبة في اللغة العربية.

3.2.3. جهود الفاسي الفهري في دراسة الرتبة[2]

يعتبر اللغوي المغربي عبد القادر الفاسي الفهري من أبرز علماء اللغة العرب المعاصرين، ومن بين أهم روّاد الدراسات اللسانية الحديثة في عالمنا العربي؛ وقد تأثّر الفهري بالنظريات اللسانية الغربية،

---

[1] النحو الوظيفي في اللغة العربية، أحمد المتوكل، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1995م، ص: 30-35

[2] . التراكيب العربية: وظائفها ووحداتها، عبد القادر الفهري، م، س، ص: 90-98

لا سيما التوليدية والتحويلية منها، واستثمرها في تحليل الظواهر النحوية العربية، والتي تعدّ الرتبة من أبرز مشاغلها.

تأثّر الفهري بنظرية النحو التوليدي التي أسسها نعوم تشومسكي، والتي تعتبر اللغة نظاماً عقلياً قوامه بنية عميقة تتحول إلى بنية سطحية من خلال القواعد التحويلية، ويرى الفهري أن ترتيب الكلمات في الجملة العربية مرتبط بالبنية العميقة التي تعكس العلاقات النحوية والدلالية بين العناصر.

واعتبر الفهري أن تقديم أو تأخير الكلمات يمكن أن يُغيّر التركيز الدلالي أو المعنى التداولي، وأكّد الفهري أن اللغة العربية تتميز بمرونة الرتبة مقارنةً باللغات الأخرى مثل الإنجليزية التي تعتمد على ترتيب ثابت، ويُمكن لهذه المرونة أن تخدم وظائف بلاغية ودلالية متعددة.

وفرّق الفهري في الرتبة بين البنية العميقة، والبنية السطحية تفريقا يتصل بالمستويات المختلفة التي تعمل عليها اللغة:

أ- البنية العميقة (DeepStructure): هي المستوى التجريدي للغة، والذي يمثل التركيب الأساسي للجملة، والمعنى العام أو النواة الدلالية التي يقوم عليها الترتيب الأصلي للعناصر النحوية كما تُحددها قواعد اللغة العقلية، والرتبة هنا ليست مرئية وغير مباشرة، لكنها تمثل القواعد الكامنة التي تحدد العلاقات بين العناصر، فعلى سبيل المثال، الجملة العميقة (فهم الطالب الدرس)، تعبّر عن العلاقة الفعلية بين الفاعل (الطالب) والمفعول به (الدرس) بغض النظر عن ترتيب الكلمات، وتقديم بعضها على الآخر.

فالتركيز في البنية العميقة يكون على العلاقات النحوية والمنطقية الأساسية بين الكلمات بغض النظر عن ترتيبها الفعلي، والرتبة هنا ثابتة بمعنى أنها تعبر عن مضمون الجملة الأساسي.

ب-البنية السطحية(SurfaceStructure): هي المستوى الظاهر للجملة، أي الشكل الذي تخرج به الجملة نحوياً وصوتياً عند النطق أو الكتابة. فهي الترتيب الظاهري للعناصر في الجملة كما تُنطق أو تُكتب، وفي هذا المستوى تصبح الرتبة مرتبطة بالقواعد النحوية التي تنظم الترتيب الفعلي للعناصر في الجملة، حيث تكون صارمة فيما نصت الضوابط النحوية على صرامته، ومرنة فيما لم يقيده ضابط نحوي بالصرامة، فالرتبة هنا تعكس التنظيم الظاهر للعناصر وفق قواعد النحو، ويمكن أن تختلف باختلاف الأساليب أو التراكيب المستخدمة مع المحافظة على البنية العميقة بطبيعتها الأصلية.

في المجمل يُعتبر الفاسي الفهري من أبرز الدارسين اللغويين المعاصرين الذين قدّموا رؤية تحليلية عميقة للرتبة في الجملة العربية، اعتماداً على النحو التوليدي والتحويلي، حيث قدّم تفسيراً نظرياً للمرونة في ترتيب الكلمات في العربية، مع التركيز على البنية العميقة والسطحية، وفتح الباب أمام توظيف النظريات التوليدية والتحويلية في دراسة اللغة العربية، وإسهاماته النظرية والتطبيقية أثرت بشكل كبير على الدراسات اللسانية الحديثة وأسهمت في تجديد دراسة النحو العربي؛ وتركت أثرها على جيل من الباحثين المعاصرين الذين تابعوا منهجه في دراسة النحو العربي بشكل عام.

4- مقارنة بين الرؤية التراثية والرؤية المعاصرة للرتبة في اللغة العربية

4-1-الأبعاد النظرية للفروق بين القدماء والمحدثين في دراسة الرتبة

تكشف دراسة الفروق بين القدماء والمحدثين في معالجة موضوع الرتبة في اللغة العربية عن تباين في المنطلقات النظرية والمفاهيمية التي أثرت على طرق التحليل اللغوي ونتائجها، ويمكن تصنيف هذه الفروق النظرية ضمن مجموعة من الأبعاد التي تسلط الضوء على العمق الفكري لكل اتجاه، لعل من أهم هذه الأبعاد:

1.1.4. البعد المفاهيمي[1]

مفهوم الرتبة عند النحاة القدماء كان مفهومًا ضمنيًا مرتبطًا بالنظام الإعرابي؛ فالكلمات تُرتب حسب أدوارها النحوية التي تُحدد بالإعراب، والرتبة عندهم تعني الوظيفة النحوية لكل كلمة في الجملة، مثل أن يكون الفاعل مرفوعًا والمفعول منصوبًا، بغض النظر عن تراتيب الكلمات فيما بينها.

وعند المحدثينأصبح مفهوم الرتبة أكثر تعقيدًا، حيث يُنظر إليه بوصفه جزءًا من بنية الجملة، ويُفرَّق فيه بين البنية العميقة -وهي الترتيب الأساسي لعناصر الجملة الذي يعكس المعنى العام-والبنية السطحية التي تعنى بالترتيب الظاهر للكلمات كما تُلفظ في الكلام، والرتبة هنا تُدرَس في ضوء التحولات التي تحدث بين البنية العميقة والسطحية، مثل الحذف، والتقديم، والتأخير.

2.1.4. البعد الوصفي مقابل البعد التجريدي

اعتمد القدماء في هذا البعد على التحليل الوصفي المباشر للرتبة في النصوص اللغوية، وركزوا على وصف التراكيب كما وردت في القرآن الكريم والشعر العربي، مع شرح أسباب التقديم والتأخير في إطار بلاغي ودلالي محدد.

بينما اعتمد المحدثون على التجريد في دراسة الرتبة، حيث تُفصل الجملة إلى مكونات رئيسية تمثل البنية العميقة، ثم يُنظر في التحولات التي قد تؤثر على ترتيب الكلمات في البنية السطحية، وبهذا تتشكل الجملة مجردة من العوامل الخارجة عن هذا السياق.

3.1.4. البعد البلاغي مقابل البعد التداولي

ركز القدماء على دراسة الرتبة من منظور بلاغي، حيث كان الهدف هو بيان الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير، والتقديم عندهم ليس مجرد تغيير في الترتيب، بل هو وسيلة لتحقيق أغراض بلاغية تتعدد بتعدد أهداف المتكلم وغاياته من النص اللغوي، عناية وتوكيدا وتخصيصا.

---

[1]. دراسة في علم اللغة، إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972م، ص: 60-65

أما عند المحدثين فمع تطور النظريات التداولية (Pragmatics) أصبح ترتيب الكلمات يُنظر إليه بوصفه وسيلة لتحقيق أغراض تواصلية ضمن سياقات محددة، وتخضع الرتبة عند المحدثين في هذا السياق لعدة عوامل منها :

- التركيز الموجه: ويكون ذلك من خلال التركيز على تقديم الكلمة التي يراد تسليط الضوء عليها.
- السياق الاجتماعي: فترتيب الكلمات قد يتغير بناءً على العلاقة بين المتكلم والمخاطب.
- القصد التواصلي: فترتيب الكلمات قد يخدم غرضًا إقناعيًا أو تفسيريًا محددا.

4.1.4. البعد النحوي مقابل البعد الدلالي

التحليل عند القدماء كان يركز بالدرجة الأولى على البعد النحوي والجوانب النحوية، مثل ضبط مواقع الكلمات من حيث الفاعلية والمفعولية، والقواعد النحوية من هذا المنطلقكانت تهدف إلى الحفاظ على النظام اللغوي وصحة التراكيب اللغوية وسلامتها.

عند المحدثين كان التركيز على البعد الدلالي هو الاتجاه السائد، فمع تطور النظريات الحديثة، أصبح التركيز ينصب على دلالات الترتيب وأثره في المعاني.

5.1.4. البعد النصي مقابل البعد السياقي

عند القدماء كان للبعد النصي حضوره المهيمن؛ حيث كانوا يهتمون بتحليل الرتبة داخل النصوص اللغوية، مثل القرآن الكريم والشعر القديم، وكان التحليل يركز على النص كوحدة مستقلة بذاتها عن الأبعاد السياقية.

عند المحدثين كان للبعد السياقي حضوره؛ حيث توسعوا في دراسة الرتبة لتشمل السياقات الاجتماعية والثقافية التي أنتج فيها النص.

في المجمل يمكن القول إن الفروق بين القدماء والمحدثين في معالجة الرتبة في الجملة العربية تعكس تطورًا في مقاربة مفهوم الرتبة؛ وانتقاله من مجرد ترتيب وصفي للكلمات في الجملة إلى رؤية أكثر شمولية تأخذ في الاعتبار الجوانب البلاغية، والتداولية، والسياقية، فبينما ركّز القدماء على النحو والإعراب كأدوات لفهم الرتبة، قدّم المحدثون أدوات جديدة مستمدة من اللسانيات الحديثة لتحليل البنية العميقة والسطحية، وربطها بالسياق الاجتماعي والتواصلي، بغية رسم صورة أكثر شمولية عن الرتبة بأنماطها المختلفة.

ويبقى التكامل بين هذه الأبعاد النظرية ضروريًا من أجل فهم شامل للرتبة في اللغة العربية، حيث يجمع بين استثمار مخرجات التراث اللغوي عن الرتبة، وتوظيف أدوات المناهج الحديثة في معالجة اللغة بمختلف أبعادها.

4-2-جدولة المقارنة بين الرؤية التراثية والمعاصرة للرتبة

تمثل الرؤية التراثية والمعاصرة للرتبة في الجملة العربية منهجين مختلفين من حيث الأسس النظرية، والقواعد المعتبرَة، والمبادئ التطبيقية، ففي حين ركّز النحاة العرب القدماء على العلاقات النحوية والإعرابية في بنية الجملة، عالج اللسانيون الرتبة من زوايا مختلفة؛ وجاءوا بمفاهيم مغايرة كمفهوم البنية العميقة والسطحية، والسياق التداولي، وسنعرض في هذا المحور إلى مقارنة مجدولة تتضمن العناصر الرئيسية في كل رؤية، وتتوزعهذه المقارنة على المحاور التالية:

1.2.4. الأسس النظرية للرتبة

العنصر	الرؤية التراثية	الرؤية المعاصرة
المرجعية	قواعد النحو العربي انطلاقا من مدارسه (البصرة، الكوفة)	**النظريات اللسانية الحديثة (البنيوية، الوظيفية التوليدية)**
المنطلق	**النظام الإعرابي وتأثيره على ترتيب الكلمات**	**التركيب العميق والسطحي وتحولات الجملة**
الهدف	**ضبط قواعد النحو وتفسير تنوع الترتيب**	**فهم العمليات التركيبية والدلالية في سياقات متعددة**
التركيز	**العلاقة بين العناصر في الجملة من حيث الإعراب والوظيفة**	**الوظيفة التواصلية والمعرفية للرتبة**

2.2.4. قواعد الرتبة:

الموضوع	الرؤية التراثية	الرؤية المعاصرة
الرتبة الأصلية	مرتبطة بالقواعد المستنبطة من استقراء القدماء للغة؛ كتقديم المبتدأ على الخبر، وتقديم الفاعل على المفعول.	الرتبة الأصلية مرتبطة بالبنية العميقة ونمطها في الغالب:(فا-ف-مف / SVO)
الرتبة المرنة	ناتجة عن التوسع في الاستعمال اللغوي لأغراض بلاغية، أو تواصلية محددة، والسياق يلعب دورا مهما في ذلك.	الرتبة المرنة ناتجة عن التحويلات من البنية العميقة إلى السطحية، وتتأثر بالسياق التداولي
أثر الإعراب	الإعراب يحدد المعني بغض النظر عن الترتيب الظاهر الكلمات.	التركيب العميق هو الذي يحدد العلاقات الدلالية بغض النظر عن الترتيب السطحي.

3.2.4.محاور الالتقاء والاختلاف في الرتبة:

محاور الالتقاء:

العنصر	التفاصيل
مرونة الرتبة	كلتا الرؤيتين تؤكدان أن الرتبة ليست دائما ثابتة، بل تتغير وفق مقتضيات المعنى والسياق.
أهمية السياق	السياق (النصي أو التداولي) عامل مشترك في تحديد ترتيب العناصر داخل الجملة.

محاور الاختلاف:

العنصر	الرؤية التراثية	الرؤية المعاصرة
منطلق التحليل	الإعراب هو المفتاح لفهم الرتبة.	البنية العميقة والسطحية هي الأساس لفهم ترتيب الكلمات.
الوظيفة الأساسية	ترتيب العناصر لضبط القواعد النحوية وتحقيق البلاغة.	ترتيب العناصر لخدمة التواصل والمعرفة ضمن السياق.
المنهجية	تعتمد على استقراء كلام العرب وبناء القاعدة النحوية انطلاقا من معطيات ذلك الاستقراء.	تحليلية تجريبية تعتمد على نظريات علمية حديثة، تنطلق من تحليل نصوص معاصرة.

من خلال هذه المقارنات ـ بأبعادها المختلفة ـ بين الرؤية التراثية والمعاصرة للرتبة في الجملة العربية وجدنا أن الرؤية التراثية ركزت على الإعراب وقواعد النحو في تحليل الرتبة، بينما وسعت الرؤية المعاصرة هذا المفهوم إلى دراسة الأبعاد الدلالية والتداولية.

تميزت كذلك الدراسات التراثية بمرونة التحليل البلاغي، في حين قدمت النظريات الحديثة منهجيات تجريدية وتحليلية عديدة بغية فهم الترتيب اللغوي بأبعاده المختلفة.

الجمع بين الرؤيتين يمكن أن يقدم إطارًا شاملًا لتحليل الرتبة في اللغة العربية، خاصة عند التعامل مع النصوص المتنوعة، ما يعني أن توظيف المنهجية التراثية والمعاصرة معًا أصبح ضرورة ملحةمن أجل فهم أعمق وأشمل للرتبة في اللغة العربية، سواء في النصوص القديمة أو الحديثة، مع التركيز على السياق البلاغي والتداولي باعتباره نقطة الالتقاء الرئيسية بين الرؤيتين.

خاتمة:

بعد هذه الدراسة المقارِنة لمفهوم الرُّتبة في الجملة العربية بين التراث والمعاصرة، تبيَّن لنا أن هذا المفهوم يُعَدّ من القضايا المركزية في تحليل بنية الجملة، لما له من أثر مباشر في توليد المعاني وتنظيم الخطاب اللغوي؛ حيث عالج التراث اللغوي: النحوي والبلاغي، الرتبة بوصفها جزءًا من النسيج الإعرابي والأسلوبي، فكان اعتماد النحاة على قرائن الإعراب لتفسير حرية الترتيب، بينما نظر البلاغيون، وفي مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني، إلى الترتيب بوصفه أداة بلاغية تُجسّد مقاصد المتكلم وتعكس ترتيب المعاني في النفس، وأكدوا أن التقديم والتأخير لا يقعان عبثًا، بل يصدران عن داعٍ بلاغي وسياقي محدد.

أما الرؤية الحديثة، فقد جاءت متأثرة بالاتجاهات اللسانية المعاصرة، فوسَّعت من أبعاد الرتبة، وانتقلت بها من التحليل الشكلي إلى التحليل الوظيفي والتداولي، وقد تميّزت هذه الرؤية عند تمام حسان بالتفريق بين النظام النحوي والنظام البلاغي، وعند أحمد المتوكل بربط الرتبة بوظائف الإبلاغ والمعالجة المعرفية، فيما تناولها عبد القادر الفاسي الفهري من منظور توليدي بحت، مبيّنًا كيف تنشأ الرتبة في اللغة العربية من بنية عميقة تُعاد صياغتها على المستوى السطحي وفق قواعد تحكمية ودلالية محددة.

ويمكن تلخيص نتائج المقارنة في أن الرؤية التراثية انطلقت من مركزية المعنى في السياق، مع اعتماد كبير على القرائن الإعرابية، بينما الرؤية الحديثة اتجهت نحو التحليل البنيوي والوظيفيالذي يُراعي العلاقة بين الرتبة والمعلومة، ويُخضع الترتيب لمنطق التحويلات الذهنية والمعرفية المختلفة، ومع ذلك فإن كثيرًا من التصورات الحديثة تكاد تكون امتدادًا أو تطويرًا لما قرّره القدماء، مما يدل على عمق الأسس النظرية التي بُنِي عليها نظام الرتبة في التراث اللغوي العربي.

في ضوء ما سبق، تفتح هذه الدراسة آفاقًا واسعة للبحث المستقبلي في مجال نظام الرتبة في الجملة في اللغة العربية، سواء ما تعلّق من ذلك بمقارنة الرتبة في الجمل الفعلية والاسمية في ضوء نظرية الموضوع والمحمول، أو بتطبيق التحليل التوليدي على التقديم والتأخير في اللغة العربية، أو باستكشاف الرتبة في الخطاب السياسي والإعلامي بوصفها أداة تداولية للتأثير والإقناع، فضلًا عن الدراسات التقابليّة بين نظام الرتبة في اللغة العربية واللغات الأخرى.

إن الرتبة، بما تحمله من قدرة على تشكيل المعنى وتوجيه التأويل، تبقى ميدانًا خصبًا للبحث، يجمع بين جمالية اللغة وصرامة التحليل، ويُبرز تفوّق النظام التركيبي في اللغة العربية من خلال التعبير عن أغراض متعددة بصيغ تركيبية مرنة ومنضبطة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (سيبويه)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة بولاق، القاهرة، 1316هـ.

الأصول في النحو. ابن السراج. تحقيق: عبد الحسن الفتلي. ط1، مؤسسة الرسالة. بيروت. 1973م.

الكشاف عن حقائق التنزيل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، 2009م.

الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952م.

الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط1، مؤسسة الرسالة، 1985م.

اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979م.

التراكيب العربية: وظائفها ووحداتها، عبد القادر الفهري، ط1، دار توبقال للنشر في الدار البيضاء، 1986م.

النحو الوظيفي في اللغة العربية، أحمد المتوكل، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1995م.

التطور النحوي للغة العربية، رمضان عبد التواب، ط3، مكتبة الخانجي، 1985م

الخلاصة النحوية، تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.

الظواهر اللغوية في التراث النحوي، علي أبو المكارم، ط1، دار غريب، القاهرة 2006م.

اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط2، هيئة المعرفة العامة للكتاب، 1979م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر، 1968م.

الغفور، ط4، دار العلم للملايين. 1987م.

ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1987م.

حاشية الصباني على شرح الأشموني، محمد علي الصّباني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1997م.

حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريبمحمد بن أحمد الدسوقي، ط1، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2000م.

دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الشيخ محمد رشيد رضا، ط1، المؤسسة الوطنية، الجزائر،1991م.
شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله محمد بن مالك، تحقيق، عبد المنعم هريدي، دار المأمون للتراث، 1985م.
مختصر النحو، عبد الهادي الفضلي، ط7، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، 1980م
مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، 1987م.
معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد نجيب اللبدي، ط1، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، 1985م.
دور البنية الصرفية، في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم النجار، ط1، دار البشير عمان، 1994م.
من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ط6، المكتبة الأنجلو المصرية، 1978م.
دراسة في علم اللغة، إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972م.